تـــــاريـخ الأدب الـــسريـــــاني

فؤاد يوسف قزانجي

تاريخ الأدب السرياني يبدأ في القرن الثاني للميلاد حينما قبل المسيحيون في مدينة الرها بشمال سوريا أن يتحدثوا باللغة الآرامية المحكية و التي أسموها اللغة السريانية لأنهم اعتبروا اللغة الآرامية لغة سادت بين الوثنيين و هكذا انتشرت اللغة السريانية في سوريا و فلسطين و العراق و منطقة الخليج ، و بعد أن اتخذت الكنيسة النصرانية اللغة السريانية ، نشأ معها أدبا و أشعارا و ترانيم و مؤلفات تاريخية . من هنا وضعت اللبنات الأولى للأدب السرياني . و لما انقسم المسيحيون في القرن الخامس للميلاد إلى طائفتين بتحريض من الفرس الذين كانوا يسيطرون على العراق ، انقسمت اللغة السريانية إلى قسمين : اللغة السريانية الغربية في سوريا ، و اللغة السريانية الشرقية في العراق و منطقة الخليج التي كانت لا تزال تضم قبائل ذات أصول آرامية و كلدانية و عربية . و كان الفرق بين اللغتين بسيطاً و أن توسع هذا الفرق بعد ذلك حينما انكفأ المسيحيون في مدن و بلدان و قرى شمال العراق .

و كان أن نشأ الأدب السرياني بنمو و تطور اللغة السريانية حتى إذا ما جاء القرن الثامن للميلاد كانت الآداب و المعارف السريانية قد اتسعت في العراق فكان هنالك أكثر من " ٣٣ " مدرسة تدرس اللغة السريانية و الدين المسيحي بالإضافة إلى أن هنالك مدارس عالية في نصيبين و جنديشابور و دير قني و كشكر و طيسفون تدرس الفلسفة و الأدب السرياني و كذلك رواية القصص التاريخية مثل قصة اسكندر ذو القرنين و قصة يأجوج و مأجوج و قصة أهل الكهف و قصة شهداء الأخدود كما عرف عن السريان في العصر الأموي و بداية العصر العباسي بأنهم كانوا أطباء و صيادلة بارعون في مجالهم .و بذلك أسهم السريان في رفد الثقافة و العلوم العربية بكثير من العناصر الأساسية كما شاركوا بحماس في حركة التأليف و الترجمة أيام بيت الحكمة العباسي " ٨٠٠-١٠٠٠ م" . و كانت اللغة السريانية قد ضعفت و انحسرت في نشاط الكنيسة السريانية منذ القرن الرابع عشر و حتى منتصف القرن العشرين على الرغم من الآداب السريانية استمر في العطاء بإسهامات فاعلة من رجال الكنيسة لكن اللغة السريانية انحسرت في ثلاث قرى قرب دمشق . أما في العراق ، فعلى الرغم من المصاعب و العقبات و المحن التي واجهها المسيحيون العراقيون خلال الفترة المظلمة فأنهم استمر غالبيتهم و خاصة الكلدان و الأشوريون متمسكين بالتحدث باللغة السريانية الشرقية حتى يومنا هذا .

هذه المقدمة سقناها للقارئ قبل الكشف عن محتويات كتاب عن تاريخ الأدب السرياني ، الذي ألفه أساتذة من جامعة القاهرة هم الدكتور مراد كامل و الدكتور محمد حمدي البكري و الدكتورة زاكية محمد رشدي . و هو كتاب مهم في المعلومات و التغطية يستعرض دور الثقافة السريانية في تطور ثقافة الأقوام التي سكنت الهلال الخصيب في القرون الميلادية الأولى و التي سعت إلى نهضة حضارية بعيدا عن الهيمنة الرومانية و الهيمنة الفارسية معتمدة في تفكيرها و في نتاجها الفكري على أصولها الحضارية و جذورها الرافدينية السومرية و البابلية و الآشورية . و قام منهم فلاسفة علموا الأجيال التالية أسس الفلسفة أمثال أبو بشر ، متى بن يونس و إبراهيم قويري و عدي بن يحيى الذين كانوا يدرسون في مدرسة دير قني . أما في الطب فقد استطاع السريان أن ينقلوا اللغة و الطب اليوناني و أن يترجموه إلى السريانية و أن يضيفوا إليه تجاربهم اليومية في الطب و الكحالة و الصيدلة .

و لم يفت الأساتذة بإعطاء فكرة موجزة عن أبرز العلماء و الشعراء و الفقهاء و المؤرخين للسريان كما أشاروا بموضوعية إلى أهمية الدراسات التاريخية السريانية التي أعطت صورة جديدة للتاريخ في القرون الميلادية الأولى بدلا من دراسة التاريخ الفارسي أو التاريخ الروماني في كل من العراق و سوريا . لكن المؤلفين الأفاضل في بحثهم و استنتاجاتهم أبدوا ملاحظات خطيرة و آراء بعيدة عن الحقيقة و الصواب ، معتمدين على المصادر الأجنبية دون المصادر السريانية و المصادر العربية المعاصرة التي كتبها غيرهم مثل : ١, أدب اللغة الآرامية "السريانية" للأب ألبير أبونا (ط ١٩٧٠ / ط ١٩٩٦) ٢, اوكين برصوم "أضواء على أدبنا السرياني الحديث" ، ٣, بولس السمعاني في "تاريخ الآداب السريانية" و غيرها . و بذلك يكون هؤلاء المؤلفين قد جانبوا الحقيقة حينما أعلنوا وفاة اللغة السريانية و الأدب السرياني في القرن الثالث عشر للميلاد . ولم يكتفوا بنعيها بل صرحوا بأنها دفنت و لم يبق لها أثر . و قبل أن نناقش آرائهم الخطيرة تلك ، دعونا نقرأ نص ما ذكروه في كتابهم حرفيا ، ففي "ص ٦" ذكر الأستاذ مراد كامل ما يلي : (و لكن الأدب السرياني لم يتوقف عند هذه الفترة بل استمر تطوره بين ازدهار و ذبول مرة أخرى حتى شارف على النهاية في "القرن الثالث عشر" ، و هو الوقت الذي "انقرض" فيه استعمال اللغة السريانية كلغة حية) . أما الأستاذة زاكية محمد رشدي التي كتبت القسم الثاني من الكتاب فقد أنهت دراستها بالنص التالي "ص ٢٧٦" : (كذلك نستطيع أن نذكر آسفين كيف "اندثرت تلك اللغة" أي "السريانية" و توارت داخل الكنائس و استقرت في الكتب و لم يبق منها ألا بعض اللهجات القليلة التي "تقوقعت" في عدة قرى بسوريا و العراق و التي أصابها الكثير من "التحريف" و التغير) . فالمؤلفة لم تكتف بالشهادة عن وفاة اللغة السريانية و دفنها بل أنها "اندثرت" وأصبحت أثراً بعد عين.

وألان لنناقش بهدوء و موضوعية ما قاله كلا من الأستاذ حمدي و الأستاذة زاكية حول اندثار اللغة و الأدب السريانيين : أولا . فيما يخص سوريا فأن إشارات المؤلفين لم تجانب الحقيقة إلى حد ما بخصوص اللغة السريانية ، فقد ابتعد المسيحيون السوريون عن التحدث باللغة السريانية مبكرا و قد اضمحلت اعتبارا من القرن الثالث عشر كلغة حية لدى السوريين ، لكنها ظلت موجودة ضمن الكنيسة السريانية ، وظل التأليف و الكتابات الأدبية و الدينية مستمرة و لعله لم يبق سوى ثلاث قرى قرب دمشق تتحدث بلغة سريانية –آرامية عشوائية . ثانيا . أما فيما يخص لبنان : فأن المسيحيين اللبنانيين تخلوا عن التحدث بالغة السريانية في حدود القرن السابع عشر ، و اقتصر الاهتمام باللغة و الأدب السرياني ضمن الكنيسة السريانية الأرثوذكسية حتى القرن التاسع عشر عندما بدأت نهضة على يد عائلة السمعاني و عائلة البستاني اللتين اشتهرتا بالتأليف و الترجمة و العناية بالمخطوطات السريانية التي كانت تملأ الأديرة القديمة في لبنان و سوريا و العراق . و أضيف إليها بعض المعاهد و الكليات المسيحية مثل كلية القديس يوسف . كما أقيمت جمعيات علمية و دور نشر للعناية بالآداب السريانية في مفتتح القرن العشرين واستمر ذلك وكان ذروتها إنشاء " مركز الدراسات و الأبحاث المشرقية " في انطلياس الذي عقد احد عشر مؤتمراً للثقافة السريانية و نشر بحوثها العلمية التي شارك فيها علماء مرموقون منهم رئيس قسم الدراسات السريانية في جامعة اوكسفورد الأستاذ سباستيان بروك بالإضافة الى قيام دار المشرق و مجلة المشرق التي ساهمت في النهضة العصرية للغة و الأدب السريانيين أواخر القرن التاسع عشر . ثالثاً : ١- أن اللغة السريانية انقسمت في القرن الخامس للميلاد الى اللغة السريانية الغربية ، و هي اللغة السريانية التي تحدث بها أهل الرها . و اللغة السريانية الشرقية التي تختلف عن الغربية اختلافا بسيطا في الكتابة و اختلافا أكبر في المحادثة و هي تشبه اللهجة العربية التي يتحدث بها المغاربة مقارنة مع اللهجة العربية التي يتحدث بها العراقيون . فقد ظل العراقيون المسيحيون الذين كانوا أصحاب ثقافة و أدب يوازي الأدب الفارسي الذي كان موجودا خلال القرون الميلادية الأولى ، يتحدثون بها و ينقلونها من جيل الى آخر كلغة حية على الرغم من الصعوبات و المحن التي واجهها خلال العصر العثماني . و هكذا يمكن التأكيد الآن ، أن غالبية المسيحيين في العراق قد استمروا بالتحدث فيها و العناية بالآداب السريانية و قد خلفوا آلاف المخطوطات السريانية و كانت الأديرة مثل دير هرمزد في القوش و دير مار متى في الموصل و أديرة كثيرة في بغداد و اربيل و دهوك مراكز علمية و ثقافية للتأليف في مختلف مجالات المعرفة التي كانت سائدة منذ القرن الثالث عشر و حتى اليوم . ٢- في أمكاننا أن نقدم للقراء الكرام عشرات الكتاب و المؤلفين الذين استمروا في العناية باللغة السريانية و الأدب السرياني منذ القرن الثالث عشر للميلاد و حتى الوقت الحاضر سواء في العراق أو سوريا أو لبنان . و سنسعى لإعطاء نماذج من هؤلاء المفكرين على سبيل المثال و سنختار منهم أولئك الذين اهتموا باللغة السريانية : (عبديشوع الصوباي "ت١٣١٨" الذي وضع مؤلفات عدة من بينها ديوانا للشعر "فردوس عدن" و هذا الديوان الطريف جرى فيه تأليف المعاني على غرار مقامات الحريري و يعلق العلامة ألبير أبونا على الديوان قائلا : " و الديوان يظهر طول باع المؤلف في اللغة السريانية و سهولة التصرف بها " ، علما أن الصوباي قد ولد في الموصل) . كذلك (ايشوب عياب برمقدم "ت ١٤٤٤ م" ولد في شمال العراق و على الأرجح في مدينة اربيل . و قد وضع كتابا في النحو السرياني و قد طبع و توجد نسخة منه في دير السيدة في بلدة القوش و متوفر في مكتبته للرواد) . ثم (سركيس بن دحلي "القرن الخامس عشر" ولد في أذربيجان و عاش في دير الربان هرمزد في القوش . و قد ألف باللغة السريانية قصيدة طويلة منظومة على البحر السرياني الأثنى عشري ، و قد استخدم المؤلف الكلمات السريانية النادرة و استنبط تعابيرجديدة شرحها في المتن) . و كذلك القس اسرائيل الالقوشي "ت ١٦١٠ تقريباً" اهتم هذا الرجل المبارك بإقامة مدرسة لتعليم اللغة السريانية الصحيحة لأهالي القوش و قد أنجبت هذه المدرسة كثيرا من رجال الدين و المثقفين ، ثم "خدر الموصلي" ت١٧٥١ الذي ولد في الموصل و نشأ على المذهب النسطوري و تضلع في اللغة السريانية الشرقية و درس العربية و التركية ، إلف كتباً في الأدب الديني و الدنيوي أهمها المعجم الكبير الذي وضعه في لغات ثلاث السريانية و العربية و التركية ، وهو بجزأين ضخمين ، و توجد نسخة منه في دير الشرفة ببيروت . و كذلك القس يوسف الراوندوزي "ت ١٨٣٢" الذي ولد في بلدة راوندوز من إعمال اربيل و قد إلف كتبا عدة من بينها معجم للغة السريانية الشرقية أوضح فيه التعابير الفصيحة و العامية . ثم المطران ادي شير "ت ١٩١٥" و هو احد العلماء المسيحيين العراقيين ، ولد في بلدة شقلاوة من إعمال اربيل و أحصى له الباحث ألبير أبونا "٢٧" مؤلفا و مترجما من ابرز كتاباته : أ. تاريخ كلدو و آشور بمجلدين ، ب. ترجم و حقق احد المصادر المهمة في تاريخ السريان إلا و هو " التاريخ السعردي " لمؤلف مجهول ، و قد نشر مرات عدة . علما أن هذا العالم القي القبض عليه من قبل الجندرمة العثمانيين و قتلوه إثناء مذبحة الأرمن عام ١٩١٥ . و هناك عشرات غيرهم من بينهم الأب بولس بيجان "١٩٢٠" ، الأب يعقوب اوجين منا "ت ١٩٢٨"، القس الفونس منكنا "ت ١٩٣٧" ، نعوم فائق "ت ١٩٣٠" و الأب اسحق أرملة "ت ١٩٥٤" الذي ألف بالسريانية و العربية "٣١" نتاجا فكريا بعضها مترجمات ، ٣, بعد استقلال العراق سمح بتدريس السريانية بالمدارس الأهلية التي تديرها الكنيسة و أستمر الأمر حتى عام ١٩٦٨ ، و في عام ١٩٧٠ وافقت الحكومة العراقية على إقامة مجمع علمي للغة السريانية صنوا لمجمع اللغة العربية في بغداد . و استمر المجمع ما يقرب من عشر سنوات ثم ادمج في جسم المجمع العلمي العراقي و أمسى قسما من أقسام المجمع الخمسة باسم دائرة اللغة السريانية . و في عام ١٩٧٢ صدر قانون يعطي حقوقا للناطقين بالسريانية . و في عام ١٩٧٣ أقيم مهرجان أو بالأحرى مؤتمرا عالميا لمرور "١٦٠٠ سنة" على وفاة العلامة الفقيه و الشاعر الكبير مار أفرام السرياني و مرور "٨٠٠ سنة" على ارتحال الحكيم الطبيب حنين بن أسحق العبادي الذي ألف في الطب و الكحالة أكثر من "٣٠" كتابا باللغتين السريانية و العربية كما ترجم أكثر من " ٥٠ " كتابا و مقالة عن السريانية و اليونانية . واصدر المجمع عام ١٩٧٤ مجلدا يضم معظم البحوث و الكلمات باللغات العربية و السريانية و الفرنسية و الانكليزية إذ شارك في المهرجان علماء من فرنسا و انكلترا و من مصر العلامة إبراهيم مدكور و الأب جورج شحاتة القنواتي ، و من العراق علماء و باحثين كثيرين من بينهم العلامة يوسف حبي و الباحث كاتب هذه السطور . و منذ عام ١٩٩١ تم تدريس السريانية في المراحل الثلاث الابتدائية و المتوسطة و الإعدادية في منطقة كردستان و استمر الأمر كذلك لحد ألان و قد ترجمت كثير من الكتب العلمية المنهجية من العربية الى السريانية و جرى تدريسها بسهولة و يسر. و في عام ٢٠٠٣ افتتح قسم لدراسة اللغة السريانية بمستوى البكالوريوس في جامعة بغداد ، بالإضافة الى كلية بابل للاهوت التي تأسست عام ١٩٩٥ التي تدرس اللغة السريانية الشرقية "السورث" و الثقافة المسيحية الشرقية و تاريخها إضافة الى الموضوعات الدينية و اللاهوتية.

رابعا : سعى المؤلفون الى انتقاص الثقافة السريانية و الأقوام السريانية قائلين "ص ٢٤" ... و لم يكونوا منشئين أو مبتدعين ، و لم ينبغوا في العلوم و لا في الفنون بل و لم ينبغوا في الحرب ، و كان ينقصهم فطنة العرب و ذكاؤهم " . لقد كان السريان تحت سطوة الفرس في العراق و سطوة الرومان في سوريا ، فلم يكن بيدهم قرار الحرب والسلم. أن السريان و لا شك مهدوا السبيل لنمو و تطور مظاهر الحضارة العربية –الإسلامية سواء في كتابة الخطوط العربية الأولى التي تأثرت نقوشها الحجرية على المراقد القديمة باللغة السريانية و التي تعود الى القرنين الخامس و السادس الميلاديين و في الطب جرى على يد السريان تعلم مهنة الطب فقد كان معظم الأطباء في عصر صدر الإسلام و العصر الأموي من السريان . بالإضافة الى أنهم أقاموا أول مستشفى في الشرق الأوسط بقرب مدرسة جنديسابور و كان جبرائيل بخنيشوع مديرها الذي استدعاه الخليفة المنصور و على غرار تلك المستشفى أقيمت المستشفيات الأخرى . كذلك مساهمتهم الإبداعية في تأليف الكتب في الطب باللغة العربية التي كانت الخطوة الأولى لتعلم مهنة الطب . أما في الفلسفة فقد كان الفلاسفة العرب الأول قد تعلموا على يد أبو بشر ، متى بن يونس و إبراهيم قويري و عدي بن يحيى و غيرهم . إما مشاركة السريان في نشاط التأليف و الترجمة و النشر في بيت الحكمة فهو واضح في فهرست ابن النديم و كتاب القفطي و سجل إعمال الأطباء عند ابن أبي اصيبعة . إما في الفن فلا نقول إلا أنهم شاركوا في أبتداع الطراز الحيري في البناء و في عمل النقوش النباتية في وقت مبكر و في أسهامهم في بناء أكثر من خمسة عشر قصرا في الحيرة ، بالإضافة الى عشرات الأديرة و الكنائس التي بنيت على طراز شرقي – عراقي خاص مختلف عن الكنائس في سوريا و فلسطين التي تدلل على عقلية متجددة و فكر إبداعي . و قد قاتل السريان الذين هم من أصول آرامية و كلدية و عربية سواء في سوريا و العراق في مملكة الغساسنة أو مملكة المناذرة ، و من بينهم ملك الغساسنة الحارث الثالث الذي كان مسيحيا ارثوذكسيا و الذي كان قائدا فذا و مقاتلا باسلا فقد دحر الجيش الفارسي و احتل عاصمتهم طيسفون ، و قد منحه الرومان لقب ملك .

ماذا يقرأ الفرنسيون في مترو باريس؟

ترجمة : نجاح الجبيلي

إن اللعبة التي أود أن ألعبها في باريس ، وبالأخص بمصاحبة زوجتي التي قامت برحلة خاطفة لها ، تسمى سارتر. قوانين اللعبة سهلة ولا تحتاج إلى عدة خاصة أو حتى معرفة باللغة الفرنسية. عليك فقط أن تكون من متذوقي أكليشيهات الثقافة الفرنسية ويفضل أن تكون من "ضفة اليسار" ❖ أو " Rive Gouche"كما يحلو للمرء أن يدعوها. هدف اللعبة الحصول على النقاط من الاستكشاف اليومي للباريسيين الذين يبدون معبرين بطريقة ما عن الذكاء الوجودي المتوقد أو في الأقل الوعي بالحياة البوهيمية.

فالبيريه السوداء لها ١٠ نقاط و الجاكيته الجلدية ٥ نقاط ونقطتان لسكائر الكلواز ((Gauloise الخفيف أو القهوة السادة. أما اللحية القصيرة الوجودية والبيريه فلها ٢٠ نقطة. ويشجع اللاعبون على الإفصاح عن مشاهداتهم ويمنحون أنفسهم نقاطاً وفقاً لذلك. وفي مناسبة جديرة بالذكر أحرزت أعلى نتيجة بالكشف عن شاب باريسي يرتدي البيريه ويدخن السيجارة بينما يجلس في مقهى ويقرأ في رواية " الغريب" لألبير كامو.

من المحتمل أن يكون المترو ،هذا المكان اللطيف الذي يختلف كثيراً عن نفق لندن، مكاناً ملائماً للتدريب على لعبة سارتر. لكنك لن تحصل على أعلى نتيجة أبداً هنا. ولهذا تحتاج إلى المقاهي والبارات والجادات الخريفية الغريبة. إن المترو مكان اجتماعي جداً ومن المحتمل أن يكون عادياً جداً. وهو يكفل عادات القراءة التي تسبب لجان بول سارتر السكتة الدماغية.وفي نموذج أعدنا إنتاجه هنا، مثلاً ، تميل الاختيارات نحو مجلات (الجريمة) الصقيلة ذات المبيعات الأفضل مثل (كامنتريسيه) التي لا تستحق نقاطاً عالية في مؤشر سارتر.

على أنّ الفحص القريب يثبت أنه نموذج واعد وباريسي على نحو واضح. أنغريد مونجين تحمل رواية بوليسية وفي العنوان كلمة " ضجر" و "لافينيا دو نارو باربا" تقرأ لفكتور هيجو. بائع أفضل الكتب برجوازي على طراز "الأمبراطورية الثانية" (عهد نابوليون الثالث) مؤثر جداً – كم من المسافرين في نفق لندن يقرأ ثاكري؟- وتحصل لافينيا على مكافأة من قراءتها المفضلة لـ" أليسندرو باريكو"(روائي إيطالي-م). لا يوجد أحد يقرأ في مترو " الأوبزرفر" روايات " الغثيان" أو "السقوط" أو " في انتظار غودو" وهذا يدل بالتأكيد على انحدار الرواد.

علامة مميزة أخرى على العصر الحاضر: هيمنة ثقافة اللغة الإنكليزية السائدة في القلب الخفي لـ"فرنسا الجميلة". حوالي الثلث يقرأون الكتب المترجمة من الإنكليزية وبالذات روايات هارلان كوبن و دوغلاس كندي(روائيان أمريكيان). إن ثيمة خاضعة للاستكشاف في نشر الكتاب الأوربي هي الدرجة التي يجيدها بعض كتاب الإنكليزية بالأخص في الأسواق الأوربية.مثلاً وليم بويد كاتب حقق أفضل المبيعات في فرنسا. وكتب " توم شارب" تباع بصورة جيدة في أسبانيا. ويعامل الفرنسيون الكاتب الأمريكي بول أوستر كثروة قومية. التقينا ببعض القراء الذين يمسكون مبتهجين بالنص الإنكليزي. العديد من القراء هم نماذج للأوربيين الجدد: الذين يقرأون في الوطن بالفرنسية والايطالية والألمانية. لا تجد العديد جدا من الروايات الفرنسية في "بيكاديللي لاين".

ربما يكون التعارض الأكبر بين مترو باريس ونفق لندن هو غزارة المجلات لا الصحف. ففي بريطانيا ، نقرأ الصحف وبالأخص في القطارات. أما في المترو هناك شخص واحد تكلم معنا هي "ليليان شابرييه" تقرأ صحيفة " لومون" تعارض آخر: الزبون ذو الهيئة المحترمة بربطته ، رينو بيرغر، يقرأ رواية لألكسندر دوما ذات الغلاف الورقي. وهناك القليل من القراء في فرنسا ممن يعير الانتباه إلى الفرق بين الطبعات ذات الغلاف المجلد والطبعات ذات الغلاف الورقي. وبالنسبة للعيون البريطانية ، تؤكد هذه اللقطة المختارة على الرأي الشائع عن باريس كونها مكاناً أكثر ميلا للجد، حتى لو لم يكن من بين هؤلاء القراء من هو وجودي حقيقي بالمعنى السارتري. وعلى حد سواء، لا يوجد من يقرأ المقابل الفرنسي لرواية " كرستال" لجوردان . لا توجد سير ذاتية موهوبة ولا عناوين تحمل أسماء مثل " جامي" أو " نجيلا" أو "كلاركسون".

وهنا ،كما يفصح مترو الأوبزرفر، أمة من القراء الذين يرغبون بشيء من السواد يتشبث بالحياة الداخلية للروح ولا ترعبه الكلاسيكيات. ويا للدهشة لا أحد يقرأ باللابتوب (laptop).إن القراء الفرنسيين اعتادوا على كل هذه التعارضات على نحو غريب: كانوا مسرورين جداً في الاستغراق في رواية وسوف يلتقطون إحدى تلك التسليات ذات القيمة الجيدة أينما وجدوها. كانوا غير مبالين بالموضة الأدبية و يسخرون أنفسهم للكلاسيكيات الأوربية. إضافة إلى أن كتبهم ذات الغلاف الورقي ما زالت قابلة للحمل على نحو مدهش وهي أفضل صديق للقارئ. في باريس فإن ثورة الكتاب الالكتروني التي تهدد الكتاب الورقي منذ وقت طويل ما تزال في الانتظار.

نادي الشعر في البصرة يؤبن الشاعر سركون بولص

المـــدى / خـــاص

اقام نادي الشعر في البصرة يوم الخميس ١٥/ ١١/ ٢٠٠٧ احتفالا تأبينيا للشاعر الكبير الراحل سركون بولص ، شارك فيه عدد من شعراء وكتاب البصرة والاحتفالية كان المخطط لها ان تكون احتفالا بأخر ديوان للشاعر (عظمة اخرى لكلب القبيلة) غير ان المنية وافت الراحل قبل صدور المجموعة.

في مساء كئيب وموحش ، في البصرة ، بينما الصمت يغلق الابواب خلفه ، شيع نادي الشعر قربانه في حضرة بولص التقي ، و سرنا بالجنازة حتى بلغت العيون المحاجر ، واستنزف الوقت مداه ، والصق المعزون وجوههم على نوافذ العربة الملكية وهي تزف اليك بشرى ، الا انت بولص لن تموت.

عند الرابعة و النصف من مساء الاثنين ٢٠٠٧/١١/١٥ ، كنا جميعاً في نادي الشعر ، بل كي نكون منصفين ، كانت البصرة بشطها الخرافي ، بحضرة القديس سركون بولص.نؤبن فقيدنا الخرافي بلوعة على قاعة القاص محمود عبد الوهاب في اتحاد الادباء والكتاب في البصرة. كان في عرافة الاحتفاء الجنائزي المتأخر ، الشاعر احمد السليطي الذي اضفى على الجلسة مناخاً من الرغبة في البكاء.

القاص نبيل جميل ، أنشد قصائد للقديس الراحل سركون بولص من مجموعة (عظمة اخرى لكلب القبيلة) بين مساهمة و اخرى ، تلا رئيس نادي الشعر الشاعر مسار رياض كلمة مقتضبة للنادي مليئة بالوفاء للشعر ، عنونها بـ نادي الشعر في حضرة سركون بولص:

((نعم . رحل بولص الى حيث كان يتنبأ . ربما . وحضرنا نودع طيفه الوردي ونستعير شعره الاشيب الذي كان يشبه احلامه وشعره الذي ظل يبحث في الذات عن صداها.

نسجل حضورنا مع سركون لنقول أننا كسبنا جذرا شعريا جديدا عسى ان يورق فينا غصنا ذهب جذعه مع الريح ولكنه ذهب على طريقة شط العرب لا على طريقة مرغريت ميتشل.

كان سركون يتوزع بين الشاعر والشاعر كأمتداد طبيعي لدورة نضج الانسان . إذ ان الذات الشاعرة هي ارقى مراحل الاحساس بالوجود . هذا الاحساس الذي ربما اجهد فقيدنا واودى به لرحيله البرليني الاخير.

استرح يا سركون...

فقد استقرت سفينة خيالك على الجودي

وقيل للقلم أن يبلع ريقه و للزمن ان يقلع عن القطف)).

بعدها اشار السليطي ، ان من يرثي اليوم سركون من لا نريد رثاءه يوماً ما ، فانشد الشاعر و الناقد (صفاء أ.خلف) مرثية عنونها بـ (سركون بولص ..القديس رحل دون ان يعمدني بخطاياه) :

((تسمرني على صليبك وترحل !! هل هذه عدالة منك سركون ؟

اية غواية تلك التي جررتني اليها ، كالمأخوذ بكأسه.

من يصنع الفوضى في عالم صارم يتهم بالكفر في بلادنا النائية .. لا أضنك تعرف الطريق اليها لكنك عرفته جيداً الى الموت..

هل تراك الان محتفلاً بخطاياك هناك ؟

لا اظنك سعيداً بما فيه الكفاية لتراقص زنجية مخمورة على قارعة طريق نسيمي مشبوه باتجاه بابل!!.

لا احسبك تعتمر الحزن –كما أنت دائماً –لتكتب قصيدة !!.

بعدها جاء دور الشاعر علي محمود خضير، ليلقي مرثية (الموت لا يؤجل مواعيده) بحق سركون جاء فيها:

((سأعترف اني تعرفت عليه متاخراً ، وهذا ليس ذنبي او ذنبه ، بل ذنب زماننا الرديء الذي جعل من سركون بولص المسافر ابداً، اتساءل لو وجدنا في اوطاننا الحلم ، هل كنا نغادرها؟.

لا اعرف لما فاجأني الخبر حد الصدمة ، رغم علمي انه يحتضر في برلين منذ اكثر من شهر ، ما يشدني في سركون ، تواضعه ، ورغم كل ما عنده من اسباب الغرور ، تراه يتناساها ويبدأ من جديد كأي شاعر شاب يبتدئ خطواته الاولى.

" رحلة صيد طويلة "هكذا ينظر للشاعر و للقصيدة ، صبره المفرط على النص / على النشر ، تركنا مع ست مجاميع شعرية و عشرات القصائد لم تجمع في كتاب.

ها أنت اخيرا تريح جسدك المرهق –لاول مرة –مذ غادرت كركوك ، ها انت تغمض عيناً عن كل الدروب و الفنادق و الحانات و المطارات التي ستتذكر عينيك القلقتين ، ستتذكرهما جيداً)).

وقرا عدد من اعضاء نادي الشعر في البصرة عدداً من المقالات التي كتبها ادباء كبار و مجايلين و مريدين لبولص نشرت على الانترنت.

بعدها توافد المثقفون و الشعراء على تأبين القديس بكلمات مقتضبة معبرة عن حزنهم العميق لرحيله ، كان ابرزها كلمة رئيس اتحاد الادباء و الكتاب العراقيين في البصرة ، الشاعر علي نوير : ((من المفارقات المؤلمة ان يسارع نادي الشعر الزمن كي يحتفي به لكن الموت لم يدع لهم ذلك، والمفارقة الاخرى ان بولص كان قاصاً رائعاً ، كنا نقول ان محمد خضير و سركون بولص فرسا رهان القصة العراقية الحداثية ، لكن ربحه الشعر وخسرته القصة ، اننا اليوم نودع قامة شعرية كبيرة أثرت في مجرى الشعر العربي و خلف بصمة في الشعر العراقي)).

لم يرحل سركون ، هكذا اختتم السليطي جلسة التأبين المرة ، كان اجمل ما في الاحتفاء هذا كله ، ان الكثير من الشعراء العراقيين في المنفى احتفى بسركون رغم بعد المسافات، رغم ان زمن سركون يبعد عن زمانهم كثيراً، لكنهم ظلوا اوفياء جداً، لسركون.